

تقريب العلوم وتصحيح المفاهيم

(٢٥)

جماعة أنصار السنة المحمدية

إدارة الدعوة والإعلام

المركز العام

التطرف الديني وأبعاده

أمنيًا .. وسياسيًا .. واجتماعيًا

بقلم فضيلة الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر (رحمه الله)

إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام

جماعة أنصار السنة المحمدية

إدارة الدعوة والإعلام

المركز العام

التطرف الديني وأبعاده

أمنياً... وسياسياً... واجتماعياً

بقلم

فضيلة الشيخ

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهـــــر (رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

دار أم القرى للطباعة
القاهرة . تليفاكس : ٢٩٨٩٨٤٥

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.... وبعد:

فإن التطرف ظاهرة قديمة حديثة! ومعناه مجاوزة الحد بالإفراط أو التفريط فأما الإفراط فهو الغلو في قول أو فعل فهم!

وأما التفريط فهو التضييع وتعدي حدود الله، ويكون بارتكاب المنكرات والإفساد في الأرض وإشاعة الفاحشة وغير ذلك من المحرمات.

وقد أصبحت ظاهرة التطرف تشغل أذهان



الكثيرين، واحتاج الناس فيها إلى قول فصل، يوضح المعنى، ويبين الأبعاد ويؤصل الأسباب ويشخص الداء ويصف الدواء.

وقد كان الأزهر -وما زال- قبلة كثير من المسلمين في العلم والفهم، تتجه الأنظار إليه وتصغي الآذان لقوله عند كل نازلة ومهمة!.

وقام العلماء بدورهم خير قيام، وقالوا كلمة الحق، ولكن وسائل الإعلام أقامت عن عمد سُحُبًا كثيفة بين المجتمع وعلمائه! وتساءل الناس: أين الأزهر؟! وسارع المرجفون إلى مزيد من التعتيم في وسائل الإعلام حتى كاد الناس أن يفقدوا ثقتهم في ذلك الصرح الذي لم تغب شمسه عنهم!

وناشد الأزهر وسائل الإعلام أن تفسح له المجال ليقول كلمته ولكن هيهات.. هيهات!!

وقد كتب فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق هذا البحث عن «التطرف وأبعاده» ليبين فيه للناس ما أشكل عليهم من شأنه..

وقد جاء هذا البحث في وقت اشتدت فيه حاجة الناس إليه، وقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً!! فكان بحق -الجواب الكافي والدواء الشافي، بل إننا نرى أن هذا البحث يصلح أن يكون وثيقة عمل ينبغي على الجهات الرسمية والمعنية أن تقوم على تطبيقه وتحقيقه كلٌّ فيما يخصه.

وجماعة أنصار السنة المحمدية إيمانًا منها

برسالتها في الدعوة إلى الله على بصيرة، واعترافًا منها بدور الأزهر الرائد في الدعوة إلى الله، وانطلاقًا من مبدإ «التعاون على البر والتقوى» من أجل ذلك فقد قررت طبع هذا البحث النفيس على نفقتها لينتفع به العامة والخاصة وحتى نساهم في تحقيق مجتمع الأمن والاستقرار الذي تحكمه شريعة الله، وتعلوه راية التوحيد، ويكون القرآن رائده وقائده.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

صفوت الشوادفي

مدير الدعوة والإعلام ورئيس تحرير مجلة التوحيد

التطرف الديني وأبعاده أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد:

فإن من الظواهر الاجتماعية في هذا العصر، ظاهرة العنف، وفرض الرأي بالقوة والتحلل من القيود، وترك القيم الأخلاقية والدينية، وقيام صراع مادي، ومذهبي رهيب فيما بين المجتمعات ومرجع الأمر في كل هذه الظواهر إلى التغييرات الاجتماعية، والفكرية والسياسية التي تتابعت خلال هذا القرن، والقرن الذي سبقه.

فقد ساد العالم منذ أوائل هذا القرن تغييرات اجتماعية وفكرية بالغة النشاط،

وكانت هذه التغييرات في جملتها وليدة للتحول الصناعي ومرتبطة بالاكتشاف العلمي و «التكنولوجي»، فضلاً عن التيارات الفكرية التي واكبت هذا التطور وصاحبت الصراع والحروب العالمية، والحركات السياسية والكوارث العامة في مختلف أنحاء العالم فكان لهذا كله آثار بعيدة المدى في مشاعر الإنسان وآماله ومعتقداته، وقيمه، ومخاوفه، وكان له أثر في بنية المجتمعات ذاتها...

يضاف إلى هذا: الصراع بين المذاهب الاشتراكية والرأسمالية.. وكذلك الصراع بين المذاهب العقلانية وبين الكنيسة في أوربا،

وما أدى إليه من تجرد من كثير من القيم وانطلاق دون حدود.

ومن ثم حدث اختلال في القيم الإنسانية بصورة عامة أمام هذه العوامل الكثيرة التي عملت كلها على إيجاد قيم ومبادئ جديدة غير ما كانت تعتنقه الشعوب من قيم وأخلاق موروثة -في جملتها- هادئة مستقرة، فكان هذا الخلل مُنطلقًا للتمرد، والعنف، وقاعدة لرفض كل ما تعارف عليه المجتمع.

ففي أوروبا قامت مذاهب تدعو لترك كل القيم.. وحسبنا من هذه المذاهب ما نادت به الوجودية، مع آراء فرويد، ثم كارل ماركس..

وفي هذا القرن برزت قوى تتصارع على سيادة العالم وتستخدم لهذا الغرض كافة الوسائل وأوضح هذه القوى: قوى المعسكر الشرقي، وقوى المعسكر الغربي.

ولقد نادى الغربيون بحقوق الإنسان، وحقوق الفرد، والحرية، ووضعوها في مصطلحات معلنة هي: حرية التمتع بالحياة، وحرية الملكية في إطار القانون، وحرية الاجتماع، وحرية الفكر، وحرية القول، وحرية العقيدة.

وجرى التصور لدى البعض.. وبناء على هذه الشعارات أن الغرب مقتنع بالمساواة بين الناس، مقتنع بالحرية للشعوب.

الواقع يشهد بكذب التطبيق

لكن الواقع العملي شاهد على أن الغرب يحتفظ لنفسه بحق السيادة وتوجيه الشعوب الأخرى في أفريقيا وآسيا، وحرمانها من حريتها في تصريف شئونها.

ومن هنا بدأ الفارق واضحًا بين المبادئ الغربية حال تطبيقها داخل المجتمعات الغربية ذاتها.. وبين سياسة هذه الدول تجاه الشعوب في آسيا وأفريقيا. وظهر تشبث الغربيين بالسيطرة على الشعوب الأقل منهم تقدمًا، سيطرة تأتي في أشكال متباينة: عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو فكرية.

أما المبادئ لدى المعسكر الشرقي فتقوم على الصراع المادي، وعلى إخضاع الفرد لسلطان المجموع، وعلى إهدار القيم الدينية والأخلاقية، بدعوى أنها من أهم المعوقات لتقدم الشعوب...

ولم يكن للشعوب المغلوبة على أمرها إلا أن تقبل نظامًا من النظامين المتصارعين، النظام الشيوعي أو النظام الغربي، أو أن ترفضهما جميعًا حفاظًا على دين، أو استبقاءً لاستقلال وكبرياء قوميين من مثل ما نرى في اليابان وفي أفغانستان قبل أن يعتدى عليها، وفي السعودية واليمن وغيرهما من البلاد التي ارتبطت الحركات

القومية فيها، بتأكيد هويتها الدينية وبخاصة في صفوف الشعوب الإسلامية.

القضاء على روابط الأسرة ونتائجه

ولقد اتسم هذا العصر لدى الغرب بالقضاء تمامًا على نظام الأسرة الكبيرة، أي الأسرة التي تربط بين الأجداد والأحفاد والآباء والأعمام بروابط وثيقة، حيث تناثرت هذه الأسرة الكبيرة إلى أسر صغيرة محدودة الروابط منفصلة عن جذورها، فغلبت الأنانية بين أفرادها حتى انحلت عرى المودة وامحت رابطة الدم.

وصار انتماء الأفراد إلى النوادي العامة

والمؤسسات الأخرى هناك أقوى من انتمائهم إلى الأسرة.

ومن ثم زالت أو تكاد -مشاعر الاحترام والمسئولية في الأسرة، وتأثرت بهذا علاقة الأبناء بالآباء فأصبحت قيمة الأبوة وقيمة البنوة مجرد اسم، وتجمدت العواطف الذاتية بين الفروع والأصول.

وكان هذا نتيجة حتمية لتركيز الغربيين على القيم الاقتصادية والمادية، دون القيم المعنوية والدينية مما حفز الناس إلى المسارعة نحو تحقيق الأهداف المادية، دون نظر إلى أي اعتبار آخر، فضعفت مكانة الدين كما ضعف تأثيره في حياة الناس.

وثمة حقيقة واضحة من حقائق القرن العشرين وهي أن نحو ثلث سكان العالم يعيشون اليوم في ظل مذهب ليس في مبائه الأساسية الاعتراف بوجود الله -أولئك هم الذي يعيشون في ظل الشيوعية، أو مشتقاتها.. فالماركسية اللينية تقرر أنه لا يمكن أن تتفق المادية الجدلية، والتفسير المادي للتاريخ مع فكرة وجود الله كما أنه من المقررات لدى هذا المذهب أن الدين أفيون الشعوب.

الإسلام عقبة كؤود أمام هذه التيارات

كل هذه المثالب والمذاهب تسللت إلى العالم كله، وبثت سمومها في مختلف البقاع



وتأثرت بها مختلف الشعوب، ولم تستطع الديانات المعاصرة- باستثناء الإسلام- أن توقف مد هذه التيارات، أو أن تحجب شرورها عن المجتمعات.

ذلك أننا لا نجد دينًا أو مذهبًا يقف موقف المقاومة الصلبة ضد هذه التيارات سوى الإسلام، فهو الديانة الوحيدة التي صمدت في الشرق أمام تيارات الفساد والإلحاد، وهو الدين الذي يحتفظ بنقاء الإيمان، وصفاء العبادة، وقوة التأثير لكلمات القرآن والسنة النبوية في قلوب أبنائه..

ولا تزال الفضائل التي دعا إليها الإسلام فضائل مقدسة، ولا تزال الرذائل التي نهى

عنها أعمالاً بغيضة تشمئز منها نفس المؤمن، بل نفس كل إنسان سوي.

وهذا بالرغم من نشاط كثير من الكتّاب المسلمين -الذين استهوتهم الثقافة الغربية- في الدعوة إلى فلسفات الغرب، ومذاهبه الفكرية والاجتماعية، وبالرغم من غرور الغرب بأفكاره وثقافته، إلا أن روحانية الإسلام، ونقاء الإيمان، وقوة الحق فيه تأخذ الآن طريقها إلى الغرب نفسه في مد جديد.

وإذا نظرنا إلى حال مصر منذ منتصف القرن الماضي وفي هذا القرن رأيناها في حيرة بين تيارين لا سيما في ظل الاحتلال البريطاني.



تيار يدعو إلى التجديد في كل شيء ومقصده الأخذ بالثقافة والنظم الاجتماعية والغربية وإحداث تغيير يحذو حذو الغرب في مجالات الثقافة والأدب والاجتماع، بل والرأي الديني أيضًا، وبحيث تصير مصر قطعة من أوربا كما قيل...

وتيار آخر يتشبث بقيم المجتمع، وتقاليده وآدابه الموروثة، ويدعو إلى المحافظة على المنهج التقليدي في مجالات الثقافة، والنظم الاجتماعية، وفي مجالات اللغة والأدب والرأي الديني، والفتوى...

التأثير الغربي ونتائجه

ولقد انتصر الاتجاه الأول، وبدأ التغيير في مصر في كثير من المجالات الثقافية والدينية والاجتماعية فانزوت الشخصية العربية الإسلامية في الثقافة وفي نظم التعليم، وصار للمغرّبين اليد الطولى في التخطيط والتنظيم، حتى تقطعت -أو كادت- أوصال الحاضر بالماضي وتراثه حتى كانت سنة (١٩٥٢م) بداية لتغير أشد عمقًا في الحياة الاجتماعية المصرية، فقد قوي المجتمع الصناعي وامتدت ساحته بمصر، ولهذا المجتمع خصائصه التي يتميز بها عن المجتمع الزراعي وله مشكلاته وتعقيداته الاجتماعية.



ثم كانت التغييرات الواسعة في مجالات الأسرة، والتعليم، والثقافة، والفن، والإعلام، وفي مجالات التربية والقضاء والتقنين والملكية العامة، ثم في مجال التعليم الديني أيضًا.

ثم حدثت تقلبات سياسية واقتصادية أحدثت أزمات عامة، لا ينبغي إغفالها..

لقد تواكبت هذه العوامل، وتشابكت، وأنتجت شعوراً بعدم الرضا المكتوم في الصدور لدى قطاعات كبيرة من الناس مما أنتج في حقيقة الأمر ظاهرة «اللامبالاة» وظواهر أخرى اجتماعية.. ومما زاد من حدة

الأمر أن هذه القطاعات لم تكن لتجد الفرصة للتعبير عن رأيها فيما تراه من المتناقضات، ومما تريده من إصلاح لأن كل ما حدث ويحدث كان يقتضي الإذعان له بكل المعايير القائمة..

وعلى الجانب الآخر فإن فئات أخرى مُكِّنَت من زمام الإعلام والفن وأخذت تعمل على تغيير الفكر الاجتماعي، والتقاليد المصرية الإسلامية بما لا يتفق أحيانًا مع عقيدة هذا المجتمع مما أوقع المواطن في حيرة بين ما يؤمن به وبين مايعايشه كرهًا.

بل ولقد عملت هذه الفئات إلى محاولة تغيير المبادئ الإسلامية ذاتها معطية لنفسها

حق الاجتهاد والقول في الدين على غير دراية.

وشاء الله أن تقع حوادث تزيد من تمكين هذه الفئات، فمضت على عهدها تهتبل الفرصة السانحة للعمل على نقض البناء الاجتماعي وإلصاق كل تهمة بالمسلمين والتهوين من شأن العلماء..

وما تزال وسائل الإعلام المتنوعة على هذا النهج للآن، الأمر الذي أيقظ في قلوب الشباب والشعب بوجه عام العاطفة الدينية أو الغيرة على الإسلام الذي وعته مصر منذ دخلت في دين الله وحافظت عليه وقامت على نشره..

ثم فشت في العشرين سنة الأخيرة ظاهرة التحلل الأخلاقي بين الشباب ولم تلتفت إليها -مع ظهورها- الأجهزة المعنية ولم تنهض لمكافحتها إلى أن دوت طلقات التطرف، مع أن الأمل معقود -في كل أمة- على شبابها الذي يجب إعداده بدنيًا وعقليًا ودينيًا حتى ينشأ سويًا قادراً على تحمل أعباء المسئولية والنهوض بها.

إن النوايا الطيبة وحدها لا تصنع الأمم، كما أن الاقتناع الفطري الذي لا يترجم إلى برامج عمل لا قيمة له.

وقفة مع النفس

لابد إذن، أن نقف وقفة تأمل، نتعرف فيها على ما آل إليه حال شبابنا خاصة ونتعرف على الأسباب التي أدت إلى هذا التدهور الخلقي والديني والاجتماعي والاقتصادي ونحدد ماينبغي أن نفعل لتدارك ما فات، دون أن نغض الطرف عن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في بلادنا... وفي العالم أجمع..

وإن من يتأمل حال بلادنا اليوم يجد تيارات متناقضة يموج بها المجتمع وهي في ذات الوقت تتجاذب الشباب سعيًا لاحتوائه حتى يفقد السيطرة على نفسه؛ فهذا غلو في

الدين وتشدد في فهم أحكامه، وذاك تيار آخر قد تحلل من الدين ومن القيم الأخلاقية.

ولا بد من مواجهة هاتين الظاهرتين أو التيارين معًا، وذلك بالكشف عن مدى الخطر الذي يصيب الدين نفسه، ويضر بالأمة كلها من جراء الفهم الخاطئ للدين أو التحلل من تعاليمه السمحة الصحيحة، ولا بد كذلك من الكشف عن المفهوم الصحيح للتدين حتى يكون هذا المفهوم في صفائه ونقائه في ذاته وفي مصدره عامل جذب لكلا التيارين ومصححًا لمسيرتهما في الحياة.

فالتدين بمعنى الالتزام بأحكام الدين والسير على منهاجه أمر مطلوب ومرغوب

فيه، ومحمود عند الله وعند الناس، يعود بالخير والفلاح على أصحابه وعلى المجتمع، وبهذا يكون التدين ظاهرة إيجابية طالما ظل في إطار من الفهم الصحيح السديد، والتمسك الرشيد بالتعاليم الدينية والقيم الأخلاقية، مما يستوجب أن يُؤيد ويُدعم، فلا يناهض ولا يطارد.

ومن ناحية أخرى فإن الإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو المنكور في الدين.

وقد نشأ كرد فعل للانحلال الأخلاقي في المجتمع وللتغريب في الثقافة ومتابعة

الأجانب في أمور الرفاهية بحيث أحس الشباب أن كل شيء في وطنه غريب عن عقيدته وتقاليده وأخلاقه وقدراته.

ولقد استشرى الانحلال بين قطاعات كبيرة من الشباب وفقدت الأسرة سيطرتها، كما انعدم دور المجتمع والمدرسة بصفة عامة، وذلك في الأغلب يعود إلى إهمال التربية الدينية كمادة أساسية في مراحل التعليم المختلفة، فافتقدها النشء في المدرسة وحتى الجامعة ومن قبلها البيت بعد انصراف الآباء والأمهات عن الرعاية الحسنة للأولاد.

ولقد زاد الأمر حدة ما تمارسه بعض وسائل الإعلام، وترسخه في نفوس الشباب من قيم

التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا

غريبة عن المجتمع لا سيما الأفلام والشرائط التي يساء اختيارها وتقدم عن طريق السينما والتليفزيون وغيرهما.. هذا إلى جانب الظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد منذ عشرين عامًا تقريبًا والنظريات المتضاربة في شأنها وظهور انحرافات في جانب المعاملات المالية في صور متعددة.

وبالجملة: هذه المادية التي أصابت المجتمع، فانعدم الشعور بالمسئولية لدى قطاع كبير من الناس لا سيما الشباب، حتى شاع عدم الاكتراث واللامبالاة وطغيان الذات والأنانية.

التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا

وهذا الفراغ السياسي لدى الشباب بالرغم من التنظيمات الشبابية التي لم تؤد دوراً إيجابيًا في خدمته ثقافيًا، وتدريبه سياسيًا، وإيجاد الصلة والثقة بينه وبين القادة في القطاعات المختلفة.

وكان الأحرى بالقنوات السياسية القانونية أن تكون مدارس تتربى فيها «كوادر» شبابية مدربة على خدمة البلاد، فاهمة للظروف التي تمر بها: سياسية واقتصادية، واجتماعية، تنمي لديها الرغبة في العودة إلى تقاليد المجتمع وقيمه التي استمدها من عقيدته.

وهيه هي مناهل الثقافة الصحيحة قد

تاهت في ضجيج إعلامي كثر فيه مؤخراً العمل للتجريح لا للبناء والتصحيح.

فلم تعد الصحافة تلتفت إلى أمانة الكلمة، أو ذكر المثل الطيب، والكلمة الطيبة، ولكن تلتفت إلى الخبيث من المثل، والخبيث من الفكر، والخبيث من الكلمات.

ولقد ضرب الله تعالى مثلاً لهذا في سورة إبراهيم، بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ (إبراهيم - ٢٤- ٢٧).

وهذه الحرية التي أفرغت من مضمونها الصحيح، حتى صارت الدعوة إلى الفساد حرية، وصار الطعن في الإسلام وصلاحية شريعته حرية، ثم صارت المسارعة إلى توزيع الاتهامات على الناس أسبق من نتائج التحقيق الذي تقوم به الجهات المختصة، بل وأسبق من حكم القضاء الذي يجب أن ينتظره وينزل عنده الجميع.

إننا في عصر شاعت فيه حروب العقائد والأفكار والإثارة، وخلق المذاهب والمتاعب بغية السيطرة على الشعوب لا سيما الشباب وذلك بوسائل علمية حديثة تسعى إلى

التأثير على إرادتهم حتى يدمروا مجتمعهم..

إن إشاعة الفكر المسموم وإذاعته عبر قنوات الإعلام المختلفة من العناصر الهامة لظاهرة الإرهاب التي من أول أهدافها إثارة الفزع والهلع، وتبني المذاهب والفكر المخرب الممزق للصفوف، المستتبع للفرقة والتناحر. وهذا الفكر الذي يتبناه الإرهاب قد يكون منتسبًا للدين، وقد يكون عقيدة دُرِسَتْ ونُسِيَتْ، فهو تيار يحيي الموات من الفكر العقدي ليثير الخلاف ويوحي إلى أوليائه باتخاذ المندوب واجبًا، والسنة فرضًا، حتى تثور الشرور، ويستباح المحظور.

ولقد صار من شأن القائمين على هذه الحروب الفكرية والنفسية استخدام وسائل

التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا

علمية حديثة تتخفى في صور مختلفة للتأثير في بناء الشعوب قصداً للسيطرة عليها وللإرهاب الذي يتخذ وسيلة لفرض النفوذ، وخلخلة الصفوف للتمكن من الغير، ثم التحكم في مصيره ثقافيًا واقتصاديًا أو سياسيًا..

لابد أن نعرف أبعاد الحرب السياسية والفكرية والاقتصادية الناشئة في العالم منذ سنين حتى ندرك خطورة الحرب الفكرية الموجهة إلينا عبر الأثير بالإعلام المرئي والمسموع أو المنكر المطبوع.

التطرف كل لا جُزْءٌ

هذه الجولة بين آفاق التطرف والارهاب قد أوضحت أنه لاينبغي التركيز على ما سمي

بالتطرف الديني فحسب، وإنما يلزم دراسة التطرف الفكري بوجه عام.

والتطرف الديني بمعنى سوء الفهم للنصوص الذي يؤدي إلى التشدد أمر لا يقره الإسلام وطريق الوقاية منه هو المزيد من الإيضاح لما يثار من قضايا، بالحوار المباشر أو بطريق الندوات الفكرية المذاعة والمرئية وأن يباشر هذا الحوار المتخصصون في جو من الموضوعية بالقول الحسن والحجة الواضحة..

ولقد مر بالأمة الإسلامية في ماضيها بعض واقعات التطرف الديني المتزمت، أو تلك التي أساءت فهمًا لنصوص الإسلام، بل كان سوء الفهم حتى في عهد الرسول ﷺ.

كما جاء في السنة الصحيحة من حديث

الثلاثة الذي ذهبوا إلى بيوت رسول الله ﷺ يسألون عن عباداته فلما أخبروا بها عدوها قليلة، فلما التقى بهم الرسول ﷺ أجابهم عما سألوا عنه، وعما عقبوا به ثم أوضح لهم أن عمله في العبادة هو سنته التي ينبغي اتباعها ومن رغب عنها فليس من أتباعه.

ذلك ما رواه البخاري، ومسلم في صحيحيهما عن أنس -رضي الله عنه- قال: «جاء ثلاثة رهط -أي ثلاثة أفراد- إلى بيوت أزواج النبي ﷺ. فلما أخبروا كأنهم تقالوها. «أي عدوها قليلة» وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفرَ له ماتقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً.. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر

أبداً ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وبهذا الجواب الواضح من الرسول ﷺ في الحوار المفيد كان الاقتناع من أولئك النفر بالاتباع لا بالابتداع وهذا ماينبغي سلوكه الآن.

والتطرف بذلك المعنى في واقعنا إنما كان بسبب الفراغ الديني في مناهج التعليم في المراحل المختلفة، وفي البيت وفي الحياة الاجتماعية بوجه عام..

ولا يخفى أن العالم الإسلامي يموج بتيارات ونزعات مختلفة تحيا بها بعض المذاهب العقدية التي كانت قد انطمست، وبعض الآراء الفقهية المندثرة أو تلك التي لا تعتمد على دليل ملزم.

وإن تلك التيارات قد تتسرب إلينا بوسيلة أو بأخرى، وواجبنا حماية الشباب وحماية كافة أفراد المجتمع منها.

وخطورة التطرف الديني بهذا المعنى ينبغي أن تواجه بالحوار الذي تداوم عليه وسائل الإعلام المتنوعة مواجهة موضوعية تتعرف فيها على عناصره ووسائله لتقابلها بما يصحح المفاهيم والمضامين..

وللوقاية من التطرف بوجه عام ومواجهة

التطرف الديني وأبعاده أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا

أبعاده السلبية -أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا- ينبغي أن نتعرف على تلك الأبعاد والأسباب، وأن نفرق بين الأسباب المحلية وتلك الوافدة أو الموفدة، وأن نتذكر دائمًا أن هذه البلاد مستهدفة من القوى الهامة في هذا العصر، كل يريد اجتذابها واستمالتها إلى جانبه لموقعها الجغرافي ومكانها القيادي والريادي بين شعوب العالم، لا سيما أمتها العربية والإسلامية وجيرتها في أفريقيا وآسيا.

وبهذا كان حتمًا أن نبحث عن الأسباب المباشرة المحلية للتطرف وتلك التي تساق إلينا في صيغ وأعمال.

التطرف الديني وأبعاده أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا

مقترحات للوقاية من التطرف ولمواجهته

وللوقاية من كل ذلك ينبغي أن نفكر ونذكر بما يلي:

١- إعادة صياغة مناهج الدراسة في التعليم العام مستفيدين من التجارب التي مرت بها البلاد في الفترات الماضية، وأن تزداد العناية بمناهج اللغة العربية والدين الإسلامي بدرجة تفي بالتنشئة الصحيحة للصغار والشباب وفي كافة المراحل الدراسية حتى الجامعة مع العناية بتحفيظ قدر مناسب من القرآن الكريم.

٢- تأهيل طلاب المعاهد الأزهرية بحفظ القرآن الكريم جميعه مع مداومة النظر في المناهج الدراسية حتى تكون مناسبة، وتدعيم

هذه المعاهد وكافة هيئات الأزهر تمكينًا له من أداء رسالته..

٣- مواجهة المشكلات الاقتصادية، وما يتبعها من أزمات تضر بآمال الشباب، مثل أزمة الإسكان وأزمة العمل.

٤- علاج الخلل الإداري في بعض أجهزة الدولة الذي يعوق وصول الخدمات لطالبيها.

٥- الوضح السياسي حتى ينشأ الشباب على بينة من أمر بلاده داخليًا وخارجيًا، وبما لا يضر بمصالح وأمن البلاد، وحتى لا يقع تحت مؤثرات، خارجية وأخبار غير صحيحة تذيعها المصادر التي تعمل على عدم الاستقرار في مصر.

ولا بد أن تأخذ الأحزاب السياسية دورها

وتعدل ممارستها، فلا يكون هدفها الاقتتال وإظهار المثالب واستخدام الكلمات الجارحة الحادة التي تثير ولا تنير، وإنما عليها أن تعاون على الإيضاح وحسن الممارسة، وصدق المصارحة ولابد لوسائل الإعلام المتنوعة أن تباشر حواراً حول التطرف وأبعاده وأسبابه المختلفة وبين كافة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، مبصراً بالمخاطر الحقيقة التي يمثلها التطرف والعنف والإرهاب، بغض النظر عن الثوب الذي يرتديه، وهل هو محلي أو وافد أو مونـد؟ وأن تكف وسائل الإعلام عن إشاعة الفرقة والتنابز بالألقاب والأحقاد فإن الشباب غض القلب والإهاب، يتأثر بما يقرأ ويسمع من

التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا

تقاذف بالتهم وطعن في الذمم.

وأن تكف وسائل الإعلام عن تقديم ما يضر بالمجتمع دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا، وأن تكون الكلمة مثمرة لا مدمرة، فلا يحق لوسيلة إعلامية أن تطعن المجتمع في دينه أو تقوم بتجريح المجتمع ونشر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وازدراء المتدينين والعلماء وقلب الحقائق وتزييف التاريخ.

ولا بد للأجهزة الثقافية من مواجهة واقعها الذي لا يتفق مع المأمول منها للمجتمع.

٦- تطهير المجتمع ممن احترفوا الموبقات والمنكرات والرذائل فأشاعوا الفساد..

التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا

والعمل على إذاعة الفضيلة ورعاية الآداب العامة في المجتمع.. وحجب تلك الموضوعات المثيرة للغرائز والاختلاف.

وهذا يكون بتخصيص حيز يومي في الصحف تعالج فيه موضوعات تواجه ما يظهر من انحراف في السلوك والأخلاق، نظراً لقلة الصحف والمجلات المتخصصة.

٧- مواجهة التيارات الخارجية التي تبث العنف وتعمل على إثارة القلاقل بكشف مصادرها ومقاصدها.

ذلك أن شواهد كثيرة قائمة تؤيد أن تيارات خارجية تسعى لإحداث الاضطرابات وإثارة العنف في مصر وينبغي أن نضع في اعتبارنا أن في إسرائيل مركزي قيادة عالمية

لطائفتي الأحمدية القاديانية والبهائية في حيفا وفي عكا، وهاتان حركتان قامتا في الأصل بتأييد الإمبريالية العالمية موجهتين ضد الإسلام أصوله وفروعه وضد الأمة الإسلامية بوجه عام، ولا تزال هاتان الطائفتان مجندتين لمهمة إحداث الفرقة بين المسلمين وإفساد عقائدهم.

٨- التمكين للقضاء ليظل حارساً للعدل، وتنفيذ أحكامه دون تعطيل أو تأويل مع تيسير التقاضي باعتباره خدمة تؤدى من الدولة لا مورداً ماليًا، مع رفع كفاءة القضاة ومعاونيهم..

٩- الكف عن نسبة الأخطاء والحوادث والكوارث إلى المتدينين وعن السخرية بهم

التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا

وبث الأمان والاطمئنان في قلوب القائمين على الدعوة وإلغاء القوانين التي أقامت القيود على كلمة المساجد، مع تمكين الجمعيات الدينية من مزاولة أنشطتها في الدعوة في تنسيق وتوافق دون تضارب وتناقض.

١٠- مراجعة القوانين التي أصبحت تمثل ظلمًا اجتماعيًا مثل قوانين العلاقة بين المالك والمستأجر في الإسكان والزراعة، وكذلك القيود في مجال الزراعة والتجارة والصناعة.

١١- النزول عند رغبة الأمة باستمداد تشريعاتها من شريعة الإسلام، الذي تدين به ففيها الغناء والكفاء والحماية والحصانة واتخاذ إجراءات استصدار التشريعات التي

تم إعدادها.

١٢- توفير الرعاية للأسرة وتشجيع الأم على التفرغ لتربية أولادها تربية إسلامية.

١٣- حث الناس على الرجوع في أمور الفتوى في الدين إلى العلماء المتخصصين والأخذ على يد أولئك الذين يتصدون للفتوى بغير علم في الوقت الذي لا يجرؤون فيه على احتراف أي علم آخر خوفاً من العقاب الذي رتبه القانون، والحرص على تكريم العاملين في مجال العمل الإسلامي والاجتماعي الرشيد.

١٤- لابد أن نحلل أسباب التطرف بغض النظر عن نوعيته ومظاهره وقنواته، فإنه يلبس أثوابًا عديدة ويلبس لكل حال لبوسها.

ومرة أخرى لا نسارع إلى نسبته إلى الدين

التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا

فنبغض الدين إلى الناس، ونصرفهم بهذا الترهيب عن التدين، مع أنه في ذاته عصمة من الزلل وطاعة لله ونزول على حكمه.

ولا بد أن نواجه التطرف الفكري بالفكر المثمر والحوار البناء الهادف إلى الإيضاح والإفصاح ولنقف بحزم ضد مروجي الفتن، ولنتثبت من الأنباء والأخبار قبل الاتهام.

ذلك قول الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾. [الحجرات- ٦]

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

نصيحة إلى الشباب

تحذيراً من محظورات الإرهاب

قال أهل اللغة: رَهَّبَ، يُرَهِّبُ، ترهيباً: خَوَّفَهُ وأفْزَعَهُ.

وإرهابي: وصف يطلق على من يسلك سبل العنف والإرهاب لتحقيق أغراضه.

وفي ذم الإرهاب -بهذا المعنى- والتحذير من الوقوع في آثامه، حتى لو كان على سبيل المزاح، ففي الحديث الشريف عن عامر ابن ربيعة -رضي الله عنه- أن رجلاً أخذَ نَعْلَ رجلٍ فَغَيَّبَهَا -أي أخفاها- وهو يمزح-

فَذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ - فقال: «لا تروعوا المسلم، فإن روعة المسلم ظلم عظيم»[1].

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا»[2].

وفي حديث ثالث: «من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله تعالى يوم القيام»[3].

وفي حديث رابع: «من أشار إلى أخيه

(١) رواه البزار والطبراني وأبو الشيخ ابن حبان-«الترغيب والترهيب» للمنذري ط. قطر جـ٣ ص ٤٨٤.
(٢) رواه أبو داود -المرجع السابق جـ٣ ص ٤٨٣.
(٣) رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر، ورواه أبو الشيخ من حديث أبي هريرة - المرجع السابق جـ ٣ ص ٤٨٤.



بحديدة فإن الملائكة تلعنه، حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[1].

وذلك لأن الإسلام حرص كل الحرص في عقيدته وشريعته على أن تقوم العلاقات الاجتماعية بين الناس على المحبة والمودة والتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى والابتعاد عن الإثم والعدوان.

وجاء التوجيه إلى الاحتكام إلى القرآن والسنة عند النزاع صريحًا فقال الله سبحانه في سورة النساء: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[النساء - ٥٩]

(١) رواه مسلم- مرجع سابق جـ ٣ ص ٤٨٥.

ولقد ضرب الله الأمثال، وأمدنا بالحكمة في حال الاختلاف فعلّمنا أدب الخلاف في الرأي، فلا يصر أحد في كل حال على أنه على صواب دائم وغيره على خطأ واضح، بل إن كُلاً من الخطإ والصواب وارد على كل إنسان.

ففي سورة سبأ:

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾. [سبأ: ٢٤-٢٦]

وإذا كان الدين النصيحة كما جاء في الحديث الشريف فإن اعتناق الأفكار الخاطئة والتفسيرات المنحرفة للدين والحياة يؤدي إلى



اضطراب أمور المجتمع وعلى المسلم أن يرد الأمور كلها - كما أشارت آيات القرآن - إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر - أي العلماء - بدليل قول الله في سورة النساء:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾. [النساء - ٨٣]

ذلك أن تلك الأفكار الضالة والمضللة إنما أشاعها وأذاعها أناس منحرفون فكريًا بقصد الإضرار بالمجتمع الإسلامي، وشغله عن واقع حاله وقضاياه، واستمراره في الانحدار في هوة الخلاف والاختلاف بل والاقتتال، دون مبرر مشروع، وذلك ما حذر منه الإسلام ففي القرآن الكريم في سورة الأنفال: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال - ٤٦]

وفي سورة آل عمران:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾.

[آل عمران - ١٠٣]

وقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» قول الرسول ﷺ - «من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه»(١).

إن من مظاهر التطرف المرفوض في الإسلام التعصب للرأي ومحاولة فرضه على الآخرين بالقوة والعنف، وليس بالحكمة

(١) رواه مسلم - «جمع الفوائد» جـ ١ ص ٩١٢ من حديث أبي هريرة.

والجدال بالتي هي أحسن كما أمر الله في كتابه..

والتزام التشدد دائمًا مع أن الدين يسر لا عسر فيه ومحاولة فرض التشدد على الآخرين إثم كبير فلا غلظة في التعامل ولا خشونة في الأسلوب. لأن الله امتدح رسوله بلين الجانب والرأفة والرحمة من ذلك قول الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾. [آل عمران: ١٥٩]

ثم سوء الظن بالناس والإقبال على الاتهام سواء في ذلك اتهام في العقيدة أو السلوك الفكري أو حتى السياسي..

وعندئذ يبلغ التطرف غايته حتى لا يعرف المتطرف إلا نفسه ورأيه وفكره وهذا هو العدوان

على الإسلام وعلى الناس ولا منجاة له من كل هذا إلا بالتزود بالثقافة الإسلامية الصحيحة من منابعها ويتحصن الشباب بها ضد التطرف والتعصب.

ولا شك في أن جميع الناس مطالبون بالوقوف في وجه كل تطرف وعدوان حرصاً على أمن المجتمع وسلامته التزاماً بحكم الله تعالى الذي حرم الظلم والآثام والعدوان.

قال رسول الله - ﷺ - فيما يروى عن ربه عز وجل: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[1].

شيخ الأزهر

جاد الحق علي جاد الحق

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب تحريم الظلم.



الفهرس

الموضوع	٣
تقديم بقلم الشيخ صفوت الشوادفي ...	٧
التطرف الديني وأبعاده	١١
الواقع يشهد بكذب التطبيق	١٣
القضاء على روابط الأسرة ونتائجه ...	١٥
الإسلام عقبة كؤود أمام هذه التيارات	١٩
التأثير الغربي مع النفس	٢٤
التطرف كل لا جزء	٣٣
مقترحات للوقاية من التطرف	٣٩
نصيحة إلى الشباب	٤٨
الفهرس	٥٦

